والكسل واللواط وأكثر من ذلك واسوأ إذا كان ثمة ما هو أسوأ من مضاجعتكم للحيوانات . الا يمكن أن تكون صلواتكم لا تنفعني ولا تنفع اي فرد من أفراد هذا الشعب ؟... فليسا محنى الله إذا كنت أشارككم فيها ... لقد كنت أميل غالباً الى حثكم لإصلاح شأن الآلاف من أفراد طبقة النبلاء من الفقراء الذين قدم لكم أجدادهم القسم الأكبر من مداخيلكم التي هي من حقهم بكل شريعة وقانون ... وشعبي ورعيتي من الأغنياء الذين افقرتموهم بسطوكم ونهبكم وخداعاتكم الشيطانية لكان بإمكانهم أن يكوّنوا امة مزدهرة لو كانوا قد تصرفوا بطريقة أخرى. إن دخولكم ــ عدا ما تمتلكونه من كنوز ــ تتجاوز كثيراً ما يمكنكم أن تنفقوه على معيشتكم المرفهة المبذرة » .

وتابع القيصر كلامه فامر الأساقفة ــ الذين كان رئيسهم في هذا الاجتماع اسمه الكسندر ويحتل منصب مطران نوفغورود ــ ورؤساء الأديرة وارشمندريتات ترويتسكي وغيرهم « بأن يحملوا لنا بياناً دقيقاً وأميناً عن مجموع ثروتكم والدخول السنوية لكل بيت فيكم » .

وبعد ذلك دخل إيڤان في واحد من تلك النقاشات الدينية التي تسره وترضيه . وكان مستعداً لقضاء الأيام والأسابيع في الجدل حول الروح القدس مع رجال الكنيسة لو ان نواياه كانت جدية . وعلى الرغم من انه سمح بالاعتراض فإنه لم يكن يتحمله ولا يرضاه . وقد اختار القيصر يومئذ اشد المعارضين من رؤساء الأديرة وعاقبهم بأن « أرسل يستدعي عشرين من أبرزهم ونسب إليهم جرائم بغيضة مفزعة واتهمهم بالخيانة بالبينة والبرهان بحيث بدت التهمة حقيقية ومعلنة ومدانة من جماهير الشعب . ولنصل الآن الى المأساة المسلية التي بذلتم جهدكم في انتظارها: امر الإمبراطور بإخراج دبب كبيرة متوحشة رهيبة كان يحتفظ بها في اقبية واقفاص سود لتسليته وتمضية وقته في عيد القديس اسحق في سلوبيدا فيلسكا (الكسندروف) . وجرى الاحتفال في مكان واسع تحيط به جدران مرتفعة . واقتيد حوالي سبعة من الرهبان المتمردين ، ضخاماً وسماناً ، بعضهم بعد بعض ، يحمل كل منهم صليباً ومسبحة